المستدرك على ديوان يحيى بن حكم الغزال الأندلسى

(١٥٦هـ-٢٥٠هـ)

تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع(*)

يحيى بن حَكَم الغَزَال شخصية فريدة عاشت فى أوج فترة ازدهار الحكم الأموى فى الأندلس . وكان ما يميزه عن غيره من الشعراء أنّ الشعر أحد صفاته لا أوحدها ، فقد كان إضافة إلى هذه الموهبة الفنية الأدبية عالِمًا بالنجوم ، وإضافة إلى هذا وذاك فقد كان رجل سياسة ؛ إذ قام بمهمة السفارة إلى بلاد الروم ، ممثلاً الخليفة عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم سنة ٢٢٥هـ ، عندما أرسله بصفة رسمية إلى القسطنطينية ، وقد دوّن الشاعر فى هذا المستدرك من شعره قصائد تتحدث عن هذه السفارة ؛ ما سبقها وما حدث خلالها ، ونتائجها ، وذكرياتها .

لقد لفت هذا الشاعر ـ ربما بسبب هذه الرحلة السياسية ـ اهتمام المتخصصين بالأندلس أدبًا وتاريخًا ، فكتبوا عنه واهتموا به وبحياته . ولعل أكثرهم اهتمامًا من الناحية الأدبية الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية ؛ فقد عمد -جزاه الله خيرًا- إلى تتبع المصادر الأندلسية ، وجمع ما تسنَّى له من شعر يحيى الغَزال . ولما تيسّرتْ له -كما يقول- مجموعة طيبة من مقطوعاته وقصائده عمد إلى نشرها في ديوان أصدرته دار قتيبة بدمشق ، سماه «**ديوان يحيى بن حَكَم الغَزال**» (يحيى بن حَكَم البَكْرى الْجَيَّانى الأندلسى ، بالملقّب بالغزال) (١٥٦-٢٥٠هـ) . وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . وقد كان جهده جهدًا مشكورًا ، وعمله عملاً مذكورًا ؛ إذ ضمَّ هذا الديوان مجموعة من الشعر تكفى لإعطاء صورة جيّدة عن مكانة هذا الشاعر فى عصره ، خاصة أنه ـ كما يقول فى شعره ـ قد عاصر خمسة من حُكّام الأندلس ؛ يقول :

أدركتُ بالمِصْرِ ملوكًا أرْبَعَهْ
وخامِسًا هذا الذى نحن مَعَهْ

وهؤلاء الملوك الخمسة هم :

١- عبد الرحمن الداخل .

٢- وابنه هشام .

(*) أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ، الرياض .

٣- والحكم بن هشام .

٤- وعبد الرحمن الأوسط بن الحكم .

٥- ومحمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

وقد كتب الدكتور الداية مقدمة وافية عن هذا الشاعر وحياته وشعره ، يمكن الرجوع إليها لمن أراد التوسع فى التعرف على مكانة الغزال فى المحيط الأدبى الأندلسى ، علمًا بأن بعض الاستنتاجات التى توصَّل إليها الدكتور الداية ستتغير كثيرًا بعد إعادة قراءة الشعر المستدرك هنا .

ولعل المأخذ الظاهر على ما جمعه الدكتور الداية ـ وهذا ليس عيبًا ـ أنّ بعض المقطوعات من قصيدة واحدة تتكرر فى «مجموعِهِ» وتأخذ كل مقطوعة رقمًا مستقلاً متسلسلاً . وهذا يرجع إلى أنه -لأمانته- ينقل ما يجده فى المصادر المختلفة ويثبته كما وجده ؛ فهو ـ مثلاً ـ يورد مقطوعات فى قافية الهمزة من قصيدة واحدة تأخذ الترتيب (١ ، ٢ ، ٣) .

وفى قافية الباء نجد المقطوعتين (٦ ، ٧) من قصيدة واحدة .

وفى قافية الراء نجد أنّ المقطوعات (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) من قصيدة واحدة .

والمقطوعتين (٢٣ ، ٢٤) من قصيدة واحدة .

والمقطوعات (٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) من قصيدة واحدة .

والمقطوعتين (٣٨ ، ٣٩) من قصيدة واحدة .

والسبب ـ كما قلت ـ أنه يثبت كل مقطوعة كما وجدها فى مصدرها ـ دون تكليف نفسه محاولة الجمع بين هذه المقطوعات فى قصيدة واحدة . ولعل صعوبة ذلك جعلته يبتعد عن التدخل فى وضع تلك المقطوعات . لذلك فإنى فى هذا المستدرك قد أعدتُ طباعة بعض الأبيات الموجودة فى مجموع الدكتور الداية ؛ لتستقر فى مكانها الطبيعى ضمن قصائده كما أرادها الشاعر ـ نفسه ـ لا كما وردت فى المصادر التى رجع إليها الدكتور عند جمعه الديوان . ولكى يكون الأمر أكثر جلاء عند القارئ الكريم فقد رأيت أن أسرد ، بدقة أكثر ، مكان الأبيات الموجودة فى الديوان المطبوع التى أعدت ذكرها هنا فى هذا المستدرك ؛ وذلك لكى يكون سياق القصائد والمقطوعات مستقيمًا عند قراءتها مستقلة ، وهذه الأبيات هى :

١- الأبيات الستة الأولى من القصيدة الخامسة ، وهى المقطوعة السادسة عند الدكتور الداية .

٢- الأبيات ١-٤ من المقطوعة السابعة ، وهى المقطوعة الرابعة عشرة عند الدكتور الداية .

٣- الأبيات ١١-١٧ من القصيدة العاشرة ، وهى المقطوعة الثامنة والعشرون عند الدكتور الداية .

والبيتان ٤ ، ٩ من القصيدة نفسها ، وهما المقطوعة التاسعة والعشرون عند الدكتور الداية .

والبيتان ١٨ ، ١٩ من القصيدة نفسها ، وهما المقطوعة الثلاثون عند الدكتور الداية .

٤- الأبيات ١ ، ٣ ، ٦ من القصيدة الثامنة عشرة ، وهى المقطوعة الواحدة والخمسون عند الدكتور الداية .

٥- الأبيات ٧-١١ من القصيدة الثالثة والعشرين ، وهى المقطوعة الثامنة والستون عند الدكتور الداية .

وبذلك يكون عدد الأبيات المثبتة هنا وفى الديوان ثلاثين بيتًا . أما بقية الأبيات فى هذا المستدرك ، وعددها ٢٩٩ بيتًا ، فهى جديدة لم ترد عند الدكتور الداية ، ولا عند غيره فيما أعلم .

على أنه ينبغى أن أنبه على أنّ الأبيات الثلاثة التى وردت هنا فى المقطوعة الرابعة والعشرين قد أوردها الدكتور الداية فى «مجموعِه» غير أنى أثبتُّها ثانية هنا وأعطيتها رقمًا مستقلاً ؛ لأنه اعتمد فى ذِكرها على مرجع حديث ، هو الدكتور محمد عبد الله عنان فى مقال له فى مجلة «**الثقافة**» ، وهو فى ظنِّى ما لا يُقبل فى مجال التحقيق والتوثيق العلمي . لكن للحقيقة فإنّ الدكتور عنانًا -كما يقول الدكتور الداية- قد اعتمد على بحث منشور للمستشرق بروفنسال فى إحدى المجلات العلمية التى تهتم بالدراسات الأندلسية . وللحقيقة ـ أيضًا ـ فإن هذا المستشرق كان لفترة من الزمن أحد مُلاَّك مخطوط كتاب «**المقتبس**» الذى نعتمد عليه فى هذا المستدرك ، كما يذكر محققه ، الأستاذ الدكتور مكى ، فى مقدمته . لذا فإنّ إعادة نشر هذه الأبيات الثلاثة بهذه الإحالة على مصدر قديم يعطيها توثيقًا واضحًا فى صحة نسبتها إلى الغزال .

كما يلزم أن أنبه أيضًا على أنّ الأبيات المشتركة بين الديوان والمستدرك ـ كما تختلف في الترتيب والمكان ـ يختلف بعضها فى رواية بعض الأبيات .

بقى أن أذكر نبذة قصيرة عن مصدر هذا المستدرك : فى منتصف عام ٢٠٠٣م ـ تقريبًا ـ صدر عن مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية بالرياض : «**السِّفر الثانى من كتاب المقتبس**» تصنيف حيان بن خلف بن حيّان القرطبى (٣٧٧هـ-٤٦٩هـ) ، تحقيق

الدكتور محمود على مكّى ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ويُعدّ هذا الإصدار الإصدار الثالث ضمن سلسلة «تحقيق التراث» التى يتبنى مركز الملك فيصل إصدارها . وقد كان إنجاز هذا العمل بشكله الذى خرج به عملاً جليلاً ؛ مادة وتحقيقًا . فجزى الله المركز والدكتور مكيًا خير الجزاء على عملهما ، وأسكن الله مؤلفه ابن حيان القرطبى فسيح جنّاته على عظيم ما ألّف وخلّف .

ربما أقول : إنى كنت من أول المستفيدين من هذا العمل العلمى الجليل ، فقد وجدت أن المؤلف ـ رحمه الله ـ يحفل كثيرًا بالشاعر يحيى الغزال ؛ فهو يعقد له فى كتابه عنوانين ، تقع مادة الأول منهما بين الصفحات ٢٤٣-٢٦٢ . يقول العنوان : «ذِكر الغَزَال الجيَّانى» ، ويورد فى تلك الصفحات كمًا هائلاً جديدًا من أشعاره وأخباره .

ثم يجىء العنوان الثانى : «أخبار الشعراء مع الأمير عبد الرحمن بن الحكَم وبعض ما سقط إلينا من أماديحهم له . من ذلك خبر يحيى بن حَكَم الغَزَال فى إرساله إلى ملك الروم» . وتقع مادة هذا العنوان بين الصفحات ٣٥٠-٣٧١ ، ويضم هذا الخبر كمًا آخر هائلاً جديدًا ـ أيضًا ـ من أشعار الغَزَال وأخباره .

لقد أحصيتُ ما جمعه الدكتور محمد رضوان الداية فى ديوانه ، فوجدته يزيد على ثلاث مئة وسبعين بيتًا ، فى حين وجدت أنّ ما أوردَهُ حيَّان القرطبى -رحمه الله- في المقتبس يقرب من ثلاث مئة بيت ليست فى مجموع الدكتور الداية . والقرطبى يفضُلُ الدكتور الداية فى كون قصائده ومقطوعاته شبه كاملة ، كما أن فضيلتها الأهم أنها ترد ضمن سياقها التاريخى مع ذكر مناسباتها ، وهذا أمر فى غاية الأهمية بالنسبة لدارس شعر الغَزَال ، أو دوره التاريخى فى تلك الحقبة العربية الأندلسية المهمة . ولكن ينبغى أن أنبه على أنى فى هذا المستدرك قد عمدت إلى استخلاص الأشعار واختصار ما ذُكر من مناسباتها ، كما قمت بإعادة ترتيب ذلك الشعر ترتيبًا هجائيًا ؛ ليتناسب مع ما جمعه الدكتور الداية من شعر الغَزَال ، مكتفيًا من ذلك الشعر الوارد فى كتاب المقتبس بأصوله دون حواشيه ؛ لأن الحواشى من حق الأستاذ الدكتور محمود مكّى ، ولا أريد -ولا غيرى يريد- الإغارة على جهده العظيم .

كما تنبغى الإشارة إلى أن هذا المستدرك به أربعة أبيات مختلة الوزن ، وقد أشار المحقق إلى ذلك فى حواشيه ، فكتب ما وجده فى المخطوط ، واجتهد فى الحاشية بتقديم مقترحات لقراءة مستقيمة للأبيات .

والأبيات هى : البيت التاسع والعشرون من المقطوعة الأولى ، والبيت الثانى والعشرون

من المقطوعة الرابعة ، والبيت الثالث من المقطوعة الخامسة ، وكذلك البيت السادس عشر من المقطوعة نفسها .

ختامًا : أسأل الله أن يهيِّئ لهذا الديوان من يقوم بضم هذين العملين إلى بعضهما ، وإضافة ما قد يُعثَر عليه من شعر للغَزال ؛ ليكوِّن هذا العمل ـ إذا خرج ـ لبنة أخرى من اللبنات الضائعة من بناء الأدب الأندلسى وتاريخه .

والله الموفق .

قافية الألف المقصورة

قال الغزال :

{ مجزوء الرمل }

[١]

أيُّهـــا الشَّـــاكـي إلى مَنْ ... ليس في كَـفَّـيْـهِ جَـدْوَى
إن شَـكْـــواكَ إلـيـــه ... ليس تُغْنِي عنك شـيًّـا
فـــاسْـأل اللَّهَ فـــلا أقْـ ... ـرَبُ منه حـــين يُدْعَى
وارْضَ بالقُـوت فـــإنَّ الـ ... قُـوتَ فـيـه كل مَكْفَى
لست تحـتـاجُ مع المـا ... ءِ إلى شُـرْبِ الْمُـضَـرَّى
لا ولا مع جُـبَّـةِ الصُّـو ... فِ إلى الخـزِّ المـوشَّى
والعَـصَـا في الكفِّ تُغْنِيـ ... ـكَ عن السـيفِ الْمُـحَلَّى
كم يريدُ المـرءُ قـد أرْ ... بى على السبـعين يَبْـقَى
هَبْكَ عـشت الدهر حـتى ... يَنْـفَـدَ الـدهـرُ ويَفْـنَى
أو مـا قُـصْـرُك من ذا ... كَ إلـى أن تُـتَـوَفَّـى؟
أَرْدَتِ الأيَّـامُ شِـرْوَيْـ ... ـهِ وسـابورَ وكِـسْـرَى
وسـلـيـمـانَ وداو ... دَ وذُو الخِـضْـرِ قَـدَ اوْدَى
كلُّ من مـاتَ وإن كـا ... نَ عظيمَ الشـأن يُنْسَى
لم أَجِـدْ حـين تَفكَّرْ ... تُ وراءَ الله مَـرْمَـى
لا ولا عَـنْـهُ إلـى شَـيْ ... ءٍ من الأشـيـاءِ مَـعْـدَى
كلُّ مـا يُعْنَى به النا ... سُ من البُنْيَـانِ يَبْلَى
رُبَّ قـصْـرٍ قـد رأينـا ... هُ عـزيزَ الأهـلِ يُغْـشَى
ثم أَبْصَـرْنـاه من بَعْـ ... ـدُ خـرابًا لَيْسَ يَحْـيَـا
أيُّهـا القـصـرُ الذي أَصْـ ... ـبَحَ للغِـرْبـان مـأوَى

وانقــضى العــزُّ الذي كنـ ـتَ به إذ كنـت تخـــشَى
مـــثلَ مـــا ارْفضَّ لـه دَمْـ ـعِي من شـــأنـكَ أيضَـــا
أيُّ شيءٍ مـــا خَـــلا اللَّـ ـهَ ومـا يرضـيـه يبـقَى؟
لا أرى وَجْـهًـا كَـوَجْـه فـيـه مـاءُ البِـرِّ أَوْضَـا
لا ولا مـن قَـنْـع راضٍ بالذي يكْفِـيـه أغنَى
لا ولا من خُـبْـزِكَ الْخُشْـ ـكار إذ تَـقْـنَـعُ أهـنَـا
لا تسَـلْ من كـان سَـوًّا لاً وإنْ أَثْـرَى وأثـرَى
إنَّ لـلإعْـدام فـيـمـا تَحْتَ شُـرْسُـوفَـيْـه مَـأْوَى
ولَعَـمْـرِي إنَّ للفـقـ ـرِ مـذاقًـا لَيْسَ يُنْسَى
رُبَّ ملـعـونٍ مـنَ الـنَّـا سِ من السـل أعْـتَى
ومن الـذيب عـلى ابـن الـ شَّـاةِ عند الجـوع أَعْـدَى
وإذا هَـبَّـتْ لـه الـريـ ـحُ فـمِنْ إبليسَ أطغَى
ومـن الـكـلـب إذا جـا عَ لمـا يَمْلِكُ أَحْـمَى
ومن الشـيطـان عند الرَّ أي للصـاحِبِ أغْـوَى
وإذا كـان لـه حـقٌّ فـبِـرْسـامٌ وحُـمَّـى
انقـضت بعض ليـالي الـ نَّاسِ في سَـوْفَ وحَـتَّى
وَجْـهُ ذي التـقـوى من الـ إبْرِيزِ في العَـيْـنَيْـنِ أَنْقَى
غَـيْـرَ أنَّ الأمـر لِلَّـ ـهِ عَـزِيزٌ لَيْـسَ يَفْنَـى

قافية البـاء

[٢]

ومما ابتدعه الغَزَال من أنواع الشعر فن التَّعْنين ، ومن ذلك قوله :

{ الكامل }

خَـرَجْتْ إليكَ وثوبُهـا مـقلوبُ ولِقلبـهـا طربًا إليك وَجـيبُ
. . . . . .
فكأنَّهـا في الدارِ حـين تَعَـرَّضَتْ ظَبْيٌ تظلَّل باللِّوى مَـرْعـوبُ
وتبسَّمَتْ فأرتْك حِين تبسَّمَتْ مـصـفـوفَ دُرٍّ لَمْ تَشُبْـهُ ثقـوبُ
ودعـتك داعيـةُ الصَّبـا فَتَطرَّبَتْ نفسٌ إلى داعي الضلالِ طَروبُ
فوصلتَ ذاك على القـديم ولـم تكن وَزَعَـتْكَ عنه كَـبْـرَةٌ ومَـشِـيبُ
حَسِبَتْكَ في حالِ الغلام كعهدها في الدارِ إذْ غصنُ الشبابِ رطيبُ
وعَرَفْت ما في نَفْسِها وضَمَمْتَها فـتـسـاقَطَتْ بهنانَةٌ رُعْـبـوبُ

فقبضت ذاكَ الشيءَ قبضة شاهنٍ فَنَزَا إليَّ عَضَنَّكٌ حلبوبُ
بيدي الشمالِ وللشمالِ لطافَةٌ ليست لأخرى والأديب أريبُ
فأصاب كفي منه حين لمسته بَلَلٌ كماءِ الورد حين يَسيبُ
وتحلَّلَتْ نَفْسِي للّذَّةِ رَشْحِه حتى خشيت على الفؤاد يذوبُ
فتقاعس الملعون عنه وربما نادَيْتُه خيرًا فليس يجيبُ
وأبى فحَقَّق في الإباء كأنه جانٍ يُقادُ إلى الردى مكروبُ
وتَغَضَّنَتْ جَنَبَاته فكأنه كِيرٌ تقادمَ عهدُه مثقوبُ
حتى إذا ما الصبح لاح عموده فسما وَحَانَ من الظلام ذهوبُ
ساءلتها خجلاً أما لك حاجة عندي فقالت ساخرًا : خَرُّوبُ
قالت : حِرُّ امِّك إذ أردت وداعها قَرِنٌ وفيه عوارضٌ وشعوبُ

وهي طويلة .

[٣]

وقال بعد عودته من سفارته إلى الروم مع صاحبه يحيى الْمُنَيْقِلَة :

{ الوافر }

يسائلُني الْمُنَيْقِلُ عن أبيهِ وكان الصمتُ أدنى للصوابِ
فقلت له ولم أظلمْهُ شيئًا أبوكَ معلِّمٌ حسنُ الحسابِ
فقال -وللفتى أدبٌ وظَرْفٌ- خلطتَ لنا مديحَكَ بالسِّبابِ
فقلت له : المديح أدقُّ فيه إذا فكرت من حذو الصوابِ

[٤]

بعد عودة الغزال من سفارته إلى الروم طلب منه عبد العزيز بن هاشم حلية مما استفادها هنالك ، فمنعه منها ، فوجد عليه ووشى به عند الأمير عبد الرحمن بن الحكم فسُجن ، فكتب يحيى الغزال إلى الأمير بأشعار كثيرة جدية وهزلية منها قصيدة طويلة أوّلها :

{ السريع }

بَعْضَ تصابيكَ إلى زينبِ لا خَيْرَ في الصَّبْوةِ للأشْيَبِ
أبعد سِتِّينَ تمليتها كاملةً تصبو إلى الربْرَبِ

يقول فيها :

مَنْ مُـبْلغٌ عني إمـامَ الهـدى والوارثَ المـجـدِ أبًا عن أبِ
أني إذا أطنبَ مُـدَّاحُـهُ أوجـزتُ في القـول فلم أُطْنِبِ
لا فَكَّ {عني} اللهُ إن لم تكُنْ أذكَـرْتَنا عن عُـمَـرَ الطَّيبِ
وأضحتِ المشرقُ مشتاقةً إليك قد غارت من المغربِ
كالكاعبِ الفارِكِ قد أُنْكِحَتْ من لم تلائمْهُ ولم يُنْجِبِ
إلى جميل الوجهِ في هيئةٍ كهيئة الضِّرْغامَةِ الْمُغْضِبِ
لا يمكنُ الناظرُ تأميلَهُ إلا التماحَ الخائفِ المذنبِ
يخضرُّ ما يلمِسُ من يابِسٍ وما يَطَأْ من مُجْدِبٍ يُعْشِبِ

وقد أطال فيها المديح ، ثم عرج إلى المجون فقال :

كان امرؤٌ أهدى إلى بعضنا كوزًا مُصَرَّاةً على طَيِّبِ
كأنه إذ نزعوا طِينَهُ قَرَنْفُلٌ نُظِّم في مُحْلَبِ
فاهتزَّتِ النفسُ سرورًا به وانشرح الصدرُ ولم أشْرَبِ
وكان مني هكذا دَفْتَرٌ أعددتُه للفِقْهِ لم يُكْتَبِ
ثُرْتُ إليه وتناولتُه وكنتُ في دهرِي من الْمُطْرَبِ
نَقَرْتُ فيه نقرةً ساعةً أُشيرُ بالرأسِ وبالمنكبِ
فالرِّجْلُ في موضِعِها لم تَرِمْ مخافةَ الكَبْلِ على أكعُبِي
حتى إذا ما طَرَبي جَدَّ بي واللهو إن تركَبْهُ يستركِبِ
قُمْتُ برجليَّ على وَثْبَةٍ فأوجَعَتْني حَلَقُ العَقْرَبِ
واستضحك القومُ فأنبأتُهم أن الذي يحبسني غَرَّ بِي
إن تُرِدِ المالَ فإني امرؤٌ لم أجمع المالَ ولم أكْسِبِ
وإن يرد زفنا يجد بي إذا كلفته أحد الظربِ

ودس الغزال إلى بعض المغنين ، فغنى الأمير بأبيات منها :

{ السريع }

قد أحسن الله بنا عندما كان الذي اسْتَوْدَعْتَ لم يذْهبِ
إذا أخذت الحقَّ مني فلا تلتمسِ الرِّبْحَ ولا ترغبِ

فاستملحها وقال فيها : لمن هذه؟ فقيل له : للغزال ، وهو مسجون في سجن وزيرك عبدالعزيز بن هاشم ؛ فى رسم ربح الطعام الذى تُعُقِّبَ عليه . فأمر إطلاقه وإدخاله عليه .

قافية التاء

[٥]

لما تخيَّر عبد الرحمن بن الحكم الغزالَ وصاحبَهُ يحيى الْمُنَيقِلة لسفارته إلى القسطنطينية ، حاول الغزالُ الاعتذار وقال قصيدته التالية ، وهي طويلة ، سلك فيها طريق الفكاهة ، وعرَّض بالرسول الذي كان أُرسِل إلى ملك الروم قبله :

{ البسيط }

ما تشتفي أمُّ جُرْجٍ من ملاحاةٍ ... أو تسمعَ الديكَ يزقو عشر زَقْواتِ
جَرْدَاءُ صلعاءُ لم يبقِ الزمانُ لها ... إلا لسانًا مُلِحًّا بالملامـاتِ
رقَّتْ حواشيهِ واستول منظره ... عند التكلمِ تحت الحنة الحاتِي
حتى تخالَ لها نفسًا تُصَوِّرُها ... أخرى سوى نفسها عند الخذالاتِ
قنواء مقرونةٌ منها حواجِبُها ... والعينُ غائرةٌ تحت البُثُورات
يحلفُ من عاينَ الغيلان مجتهدًا ... بأنها غيرَ شكٍّ بنتُ سِعْلاةِ
كأنما حَمَلَتْ منها إذ انبعثَتْ ... على متونِ عظامي حَدَّ مِبْرَاةِ
تقول : ما لك لا تأوي إلى فُرُش ... أعددتهنَّ نقياتٍ وثيراتِ
وزقُّ زيتٍ لمن يبغي ملامَسَةً ... أشهى عناقًا وأدنى لِلَّذاذاتِ
لطمتُها لطمةً طارت وِقايَتُها ... عن صَلْعَةٍ ليس فيها خمسُ شَعْرات
كأنها بَيْضَةُ الشاري إذا بَرَقَتْ ... بالمأزقِ الضنكِ تحت المشرفيَّاتِ
لها حروفٌ نَوَاتٍ في جوانبها ... كقسمةِ الأرضِ حِيزَتْ بالتُّخومات
وكاهلٌ كسنامِ العَنْسِ حدَّدَهُ ... طولُ السفارِ وإلحاحُ القُتودات

وفيها :

يا ابْنَ الْمُحَلَّيْنَ من شِيثٍ إلى حكَمٍ ... بالملكِ طورًا وطورًا بالنبوات
وبالرَّوِيِّ التي في شأنها عَجَبٌ ... عند البَديهاتِ منهم والرَّوِيَّاتِ
ابن لي طلبة لم يُرْسِلْ لِلحْيَتِه ... لكنه كانَ من أهل الْمُرُوَّاتِ
وكان بالدهر ذا علمٍ ومَعْرِفَةٍ ... وصحبة لعَلِيَّاتِ الرِّجالاتِ
وكان للروم جارًا في حداثَتِه ... يغشاهُمُ في السَّرايا والتِّجاراتِ
وكان يلعبَ بالشِّطْرَنْجِ في مُلَحٍ ... يأتِي بها وصنُوفٍ من فُكاهاتِ

وكـان رُبَّتَـمـا غنَّى على طَرَبٍ فيها لدى مَلْعَبٍ يومًا بأصواتِ
وكلُّ قـوم لهم حـالٌ تشـاكِلُهُمْ فيما هُمُ فيهِ من أهلِ الصناعاتِ
وإنمـا نحنُ في أحـوالِنا سُـوَقٌ وشكلُنا ليس من تلك الشُّكولاتِ
وإنمـا هو هذا الشـعـر أقـرِضُـهُ كما أحاولُ من دهري لحاجاتِي
والروم ليسوا ذوي شعرٍ فأُنشِدَهُمْ إذا وردتُ عليـهم من مـقـالاتِي
ولا يريدون إمـلالي لكتـبِـهِمُ ولا حسابِي ولا في الدينِ إخْباتِي
وإن يكونوا عَرَتْهُمْ لحيَةٌ عَظُمَتْ بغـيـر عـقلٍ لدى حال المباهاة
ففي التيوس البُشارِيَّاتِ مُتَّسَعٌ على القياسِ وفيها كُلُّ مَكْفَاةِ
وها هنا واحـدٌ في طولِ لحـيتـه وعَرْضِها بضمانٍ عَشْرُ لِحْيات
فَسَيِّرُوهُ ففيه فوقَ حاجَتِكُمْ مَنْ تبـتـغـونَ سـواهُ للوفادات
وأطلِقوني وخافوا الله في وَلَدِي لا توتمـوهُمْ فـإني ذو بُنَيَّاتِ

قافية الدال

[٦]

قال الغزالُ في مدح الأمير الحكم بن هشام ، من قصيدة طويلة جيدة وهي :

{ الطويل }

فـواللَّه مـا أدري وإني لشـاعـرٌ إلى أيِّ وَجْهٍ من مديحكَ أقصدُ
كأنَّ الملوكَ الغُلْبَ عندك خُضَّعًا خـواضعُ طيرٍ تتَّقي الصَّقْرَ لُبَّدُ
تُقَلِّبُ فـيـهم مُـقْلةً حَكَمـيَّـةً فتخـفِضُ أقوامًا وقـومًـا تُسَوِّدُ
لأُعطيتَ سلطانًا على السُّخْطِ والرِّضا عليـها فَذلَّتْ حين تَغْوِي وتَحْرَدُ
ونَزَّهْتَ نفسًـا أن تقـارِبَ ريبَـةً وقـد يَلْزَمُ الإنسـانُ مـا يتـعـوَّدُ
وَقُوفًا عنِ الأمرِ الذي فيه شُبْهَةٌ مَلُوكًـا لهـا إن نازَعَتْ تتـأبَّدُ
وإنك تُعْطِي ما قَدَ اعيَا حسابُه الـ ـعقولَ فما تهْدَى له كيف يُعْقَدُ
سـوى أن آلافًـا تؤلَّف هكذا بلا فَـهَم من حـاسِبِيـهـا يُرَدَّدُ
وتُعطي وتُعطي ثم تُعْطِي كأنما تُريدُ نَفـادَ المـال لو كـان يَنْفَـدُ
مضى ما مضَى من ذكرِ كعبٍ وحاتمٍ فقيلَ هُما من سائرِ الناسِ أَجْوَدُ
وبعضُ الذي تُعْطِي كأثمانِ طَيِّئٍ وعَشْرَةَ كعبٍ حيث غاروا وأنجدُوا
وما ذاك إن أعْطَيْتَـهُ اليومَ مانعًـا غـدًا منك أنْ يأتي بأمثاله الغَـدُ
فَهَبْنِي كبعضِ المادحينَ أَجَزْتَهُمْ ببـعضِ عطاياكَ التي لا تُصَـرَّدُ
وَجَدْتُ التقى والبأس والعدلَ والندى إليك إذا ما استُقْصِيَ الوَصْفُ تُسْنَدُ
فَـمَنْ تؤمنوهُ فَـهْـوَ للدهرِ آمِنٌ وَمَنْ لا يَعشْ ما عاشَ وَهْوَ مُطَرَّدُ
ويَحْسَبُ أَرْضَ اللهِ في كل وِجْهَةٍ حَبَـائلَ ألقـاهـا له الْمُـتَـصَـيِّـدُ

وهي طويلة ، في آخرها :

وفي بَيْعَةِ الصِّدِّيقِ قد قيلَ فَلْتَةٌ ... وقَدْ أكثَرُوا فيها المقالَ وفنَّدُوا
ولا عمر الفاروق ما جمع الهوى ... وما مَثلُهُ في ذلك الدهرِ يُوجَدُ
ولا لابنِ عَفَّان الذي سَمَحَتْ لَهُ ... يَدًا من رسولِ اللهِ بالبيعة الْيَدُ
فكيف أنا يا ابْنَ الكرام ومَنْ أنا ... إذا الناسُ من أهلِ الفَضَائل عُدِّدُوا

[٧]

وقال أيضًا :

{ الكامل الأحذ }

قالت : أحبكَ قلت : كاذبةٌ ... غُرِّي بذا من لَيْسَ يَنْتَقِدُ
هذا كلام لستُ أقبلُهُ ... الشيخُ ليس يحبُّه أحدُ
سيَّان : قولك ذا وقولك إنَّ ... الرِّيح نعقدُها فتنعقدُ
أو أن تقولي : النار باردةٌ ... أو أن تقولي : الماءُ يتَّقدُ
إن كان عِشْقُ المرءِ يُسْكِنُهُ ... قَلْبَ الفتاة الشَّيْبُ والدَّرَدُ
بيضاءُ مثلُ الشمس سُنَّتُها ... بَهْنانةٌ ما شَقَّها وَلَدُ
وكأنَّما تُبْدِي مَضَاحِكُها ... ما دِينجاً بخلالِهِ بَرَدُ
ويُقالُ لي لِجْها فقلتُ لهم : ... ما بي على ما قلتمُ جَلَدُ

[٨]

ولَمَّا تأخر عنه ما وعده الأمير عبد الرحمن بن الحكم به من البذل لعياله قبل سفارته إلى بلاد الروم كتب محركًا بذلك :

{ البسيط }

أبقى الأميرُ علينا هَمَّ ما وَعَدا ... فما اعتددنا بشيءٍ عندما انفردَا
يقول لي ابْنُ شُهَيْدٍ والوزيرُ أبو ... عبد الإلهِ وعبد اللهِ قد شهِدَا :
لا تأسفنَّ على شيءٍ تخلِّفُه ... سيوسعُ الملكُ الإجراءَ والصَّفَدَا
فقلت : لا شكَّ لكني أُشَبِّهُهُ ... بقُبلةِ العاشقِ المعشوقَ قد رقدَا
فينثني عنه لم يَشْعُرْ بقبلته ... ولم يصب لذةً منه ولا رَشَدَا
ما كان أحلاهُ في نفسي وأطيَبَه ... لو كان ذلك في اليوم الذي وَعَدَا

فأنجز الأميرُ عبد الرحمن الغزالَ ما وعده إياه ، ووقّع له بإثبات راتب دائر له فى الأزمنة ، وزاده إلطافًا ، وأزعجه للخروج ، فاستبسل له ونفسه رضية .

[٩]

ومن آخر ما قاله فى وقت هرمه أبياته التى منها

{ البسيط }

يا مُسْتريبَ حياتي هَلْ تَظُنُّكَ إنْ غالَتْنِيَ الغُولُ يومًا خالدًا بَعْدِي

قافية الراء

[١٠]

ولما عزم الرحيل إلى القسطنطينية قال بين يدي رحلته قصيدته الرائية التى على عروض قصيدة أبى نواس : «أجارةَ بَيْتَينَا أبوكِ غَيُور»

وهى :

{ الطويل }

أعاذِلَتي إن الظلام بشيرُ وعندِيَ رحلٌ حاضرٌ وبعيرُ
وعندي من الزادِ الكفافُ ومؤنِسٌ إلى جانبي عَضْبُ الغِرارِ ذكيرُ
وقلبٌ ذكيٌّ ما يكادُ يخونُني إذا خِيَن مجموعُ الحصاةِ وَقورُ
وإنَّ مُقَامي شَطْرَ يوم ببلدةٍ أخافُ على نفسي بها لكثيرُ
وموسى بْنُ عِمْرانٍ أقامَ بِمَدْيَنٍ سنينَ حِذارَ الموتِ وهو أجيرُ
وأحْمَدُ لما أنكر الدارَ أَرْقَلَتْ به عَيْسَجُورٌ للفلاةِ عَبورُ
ويحيى وعيسى موقِنَيْنِ توارَيا بأن ليس يُنْجِي الهاربين فُرورُ
فصاروا إلى ما قدَّر الله فيهمُ وللخَلْقِ في حكمِ الإلهِ مصيرُ
وقد يهرب الإنسانُ من خيفة الردى فيلحقه ما خافَ حيثُ يسيرُ
لِيُبْلغَ نفسًا عُذْرَها ولعله تكون أمورٌ بعده وأمورُ
فكم ظاعنٍ قد ظنَّ أن ليس آيبًا فآبَ وأردى حاضرون كثيرُ
وإنّ الذي أُعْطِيتُهُ من تَغَرُّبي عَلَيَّ -وإن أَعْظَمْتَهُ- لحقيرُ
رأيت المنايا تسلب العُصْمَ عُمْرَها فتدركها والطَّيْرَ وهو يطيرُ
لعلِّي سأَمضي ثم أرجعُ سالِمًا ويهلِكُ بعدي آمنين حَضورُ
جعلتُ أُرَجِّيها إيابي ومَنْ غدا على مثلِ حالي لا يكاد يَحُورُ
وكيف إيابي والزمان قد انقضى وعظمِي مَهِيضٌ والمكانُ شطيرُ
وإني وإن أظهرتُ مني تَجَلُّدًا لذو كبد حَرَّى عليكِ حَسيرُ
وإن رجائي في الإيابِ إليكمُ وإن أنا أظهرت العزاءَ قصيرُ
فإن كنتِ تبغينَ الوداعَ فبالغِي فدونَكِ أحوالٌ أرى وشهورُ
وكُونِي كحالِ القارِظَيْنِ فإنني أراني مُقيمًا ما أقامَ ثَبيرُ

فحَنَّتْ حَنينَ النَّابِ مات حُوارُها تُجاوبُهَا نِيبٌ فواقِدُ خُورُ
كأن الذي يُذْرِي المدامعَ منهما تساقُطُ ماءِ الشَّنِّ وهو غَزيرُ
لكِ اللهُ فاستذرِي إليه وأعْظِمِي الرَّجاءَ له إن الإلَهَ قديرُ
فما زلت حتى لاح للصبحِ ساطعٌ وهل لامرئٍ نائِي المحلِّ سرورُ
فأصبحتُ مسرورًا بنائِي مَحِلَّتي وهل لامرئٍ نائِي المحلِّ سرورُ

[١١]

كان عبد العزيز بن هاشم ، وزير عبد الرحمن بن الحكم ، والد هاشم ، ابن أخت الغزال ؛ ولذلك يقول فيه الغَزَال من أبيات له :

{ الطويل }

أنا خالُهُ وهو ابْنُ أُخْتِي فما الَّذِي أُلامُ عليه والدِّماءُ تَفُورُ

[١٢]

اشتهر الغَزَال بالشِّعر في أيام الحَكَم ، وامتدحه بأماديح كثيرة مستحسنة ، وله فيه بيته المشهور عند رواته وهو :

{ الطويل }

أيا حكمًا للمعضلاتِ الفَوَاقرِ ويا حكمًا تحت القنا المتشاجرِ

[١٣]

وله فى الشيب والشباب :

{ السريع }

يا خاضِبَ الشَّيْبِ مَدَى عُمْرِهِ كم ذا الذي تَسْطِيعُ أن تَصْبِرَا
هل أَبْصَرَتْ عيناكَ قَطُّ امْرءاً أعادَ عودًا يابسًا أخضرَا
مَنْ شابَ قد ماتَ ولكنَّهُ لا يَسْتَحِلُّ الناسُ أن يُقْبَرَا
كَذَلِكَ الرُّوحُ الشَّقِيُّ الذي أخَّرَهُ اللَّهُ لِما أخَّرَا
إنِّيَ أَرْجُو للفتاة التي تكونُ عندَ الشيخ أَنْ تُؤْجَرَا
حَقٌّ لها لَوْ خَنَقَتْ نَفْسَها عِنْدَ جميعِ الناسِ أن تُعْذَرَا
القطُّ في الكانونِ مستوبر والكلبُ في حَبْلَيْنِ قد كَشَّرَا
والْمَقْتُ كُلُّ الْمَقْتِ في عَيْنها أَحْسَنُ منه عِنْدَها مَنْظَرَا

[١٤]

وقال فى التعريض :

{ السريع }

أَبْصَرْتُ شيخًا قُرْبَهُ ناهدٌ ... يلثمُها كالقَمَرِ السَّارِي
أسنانها فيما يُرَى لُؤْلُؤٌ ... صُفِّفَ فى فيها بأسطار
إلى لِثاث شبْهِ ماءِ دِينَج ... دكُّوا به صنعة مِئشارِ
أَنَّى توصَّلْتَ إلى هَذه ... فقال لي : لُطْفِي ودينارِي
خَوَّفْتُهُ اللهَ ورَوَّعْتُهُ ... { منه } بِتَرْداد وتكرارِ
فقال -والشيخ خبيث إذا ... كُلم من مَشْيَخَة النارِ- :
بالله دَعْني عنك أقضي من الدُّ ... نيا لُبَاناتي وأَوْطارِي
ألم تقُلْ لي أَنْتَ أنْ كُلُّ ما ... يَعْلَمُهُ الناسُ بمقدارِ؟
وكنتُ قد كَلَّمْتُهُ مرةً ... فَلَمْ أجِدْ بُدًا من اقْرارِي
فقالَ : والوعظ محالٌ إذَنْ ... -وأنت ذو علم وأفكارِ-
إنْ كانَت الأَعْمالُ مَحْتُومةً ... من قبلِ أنْ يَبْرَأَنا البارِي
فلست أَسْطِيعُ سوى ما تَرَى ... إذْ كُلُّ ما كانَ بأقدارِ
والخيرُ والشرُّ إذَنْ طاعةٌ ... ونحنُ في منهاجِ أَبْرارِ
إذا تُوُفِّيتُ فإنِّي لِما ... قُدِّر من جَنَّةٍ أو نارِ

[١٥]

وله فى فن التعنين :

{ السريع }

لم تَرْضَ أُولائِي ولا عَصْرِي ... ولا عَشِيَّاتي ولا فَجْرِي
وابتعتها بيضاءَ بهنانةً ... حُسَّانةً براقةَ الشعرِ
كأنَّما سُنَّتْها إذ بَدَتْ ... سُنَّةُ شمس أو سنا بَدْرِ
فأصبحت تدعو على نفسها ... بالتَّعْسِ والويلاتِ والتَّبْرِ
في عَبْرَةٍ ما ينقضي فَيْضُها ... كأنما تَغْرِفُ من بَحْرِ
ونافذٍ من قولها وَخْزُهُ ... وَخْزُ الأشافِي أو حُمَى الدَّبْرِ
جعلتَ عمدًا أَتَغابَى لها ... كأنني أَبْلَهُ لا أدري
ماذا الذي يبكيكِ قالت : وما ... باليَ لا أبكي مدى عمري
قطعتَ بي عن حاجتي ظالِمًا ... ما لكَ عندَ اللهِ من عُذْرِ
قلتُ لها : إني امرؤٌ صالحُ الْـ ... حالِ رفيعُ النفسِ ذو وَفْرِ

وقِـبَلى مـا شـئتِ من مطعمٍ ومن نبـيـذٍ طيبِ النشـرِ
ومن ثيـابِ الوَشْيِ مـا تشـتـهى مِـثْلُكِ من بيضٍ ومن صُـفْـرِ
ومن صنوف الْحَلْيِ ما شئتِ من فـاخـرِ ياقـوتٍ ومن شَـذْرِ
ومن جَـوَارٍ كُلُّهـا سـامِـعٌ يخِفُّ عنـد النهيِ والأمـرِ
وإننى فى النـاسِ ذو حُـرْمـة عظِيـمـةِ الشـأنَ وذو قَـدْرِ
وأهـلُ بيـتي كلهم فـاضلٌ يُوصَـفُ بالعلمِ وبالشـعـرِ
قـالت : ومـاذا لِىَ فى كلٍّ ذا من عـاجلٍ يُحْـمَـدُ أو ذُخْـرِ
أنت امـرؤٌ يا سـيـدى شـاعـرٌ فكيف لا تشـعـرُ فى أمـرِى
قلت لها : صف لى فقالت : وما أكـثـر من هذا مع العـسـرِ
لا والذي ليس له صـاحبٌ مـا أنت من بَزِّى ولا عِطْرِى
وإن أَبْـزَارَكَ هـذا الـذي تَهْـرِسُ مـا يَدْخُل فى قِـدْرِى
مـا لِيَ لا أَسْـمَعُ فى كُلِّ ذا الـ ـوصفِ لذاك الشىءِ من ذكـرِ
وصَرَّحَتْ فى بعضِ تعـريضـها مـا حـاجَـةُ الليثِ إلى النِّمـرِ
والفَـرَسُ الجـائِـعُ مـاذا لَهُ في الْجُلِّ والبـرقع والضَّـفْـرِ
قلتُ لهـا : إن تصـبـرى تُؤْجَـرى قـالت : ونحنُ الآنَ في الأَجْـرِ؟
وأتبـعـت ذلـك دَعْ عَنْـكَ ذا أنت تداوى قـرحـة النسـرِ

قافية السين

[١٦]

لما تأخَّر نصر الْخَصِىُّ ، حظىُّ الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، الغالبُ على أمرِهِ ، لأمرٍ يخصُّ الغزال ـ هجاه وأقذع ، وقال فى سَبِّه وسبِّ عباسٍ الطبلى ، صاحبه :

{ البسيط }

قد قلتُ بيتين في نصرٍ وعبَّاسٍ فأنصتوا لهما يا معشر الناسِ
أَيْرُ الحِمارِ إذا اشتدَّتْ مثانته وصار غُرْمُولُهُ كالجندلِ القاسِي
في استِ امِّ نصرٍ ونصرٍ واستِ والدِهِ أَبى السَّمَوْأَلِ والطبليِّ عباسِ

قافية اللام

[١٧]

قال حيَّان : قرأت بخط أبى بكر عُبادَةَ الشاعر قال : الغَزَالُ : هو أبو زكريا ، يحيى بن حكم البحرى ، ينتمى إلى بكر بن وائل ، وهو القائل فى كلمة له :

{ الطويل }

وها أنا من أبناءِ بكرِ بْنِ وائلٍ وما نفعتني قَطُّ بكرُ بن وائلِ

[١٨]

دخل الغَزَالُ على الأمير عبد الرحمن بن الحكم ؛ ليكلِّمهُ فى أمر سفارته إلى الروم ، فلما رآه الأمير قال مداعبًا له :

جاء الغَزَالُ بِحُسْنِهِ وجمالِهِ

فأجازَهُ الغَزَال فقال على البديهة :

{ الكامل }

قالَ الإمامُ مُداعبًا بمقاله ... جاءَ الغزالُ بحسنه وجماله
دَعْوَى الذي أَودَى به مِنْهُ البِلَى ... لم يَقْصُرِ الممدودَ من آماله
أين الجمالُ ـ له الجمالُ ـ من امرئٍ ... ألقاهُ ريبُ الدهرِ في أغلاله
أم أينه في خاضِعٍ متخشِّعٍ ... ألقى الزمانُ ثُغامَه بقَذَاله
وأذلَّ غاربَه وأنكَّبَ جَنْبَهً ... وأكلَّه بخِفافه وثِقاله
وأعاره من بعد جِدَّته البلى ... وأحال رونقَ وجهه عن حاله
وابتزَّ ما كان ارتداهُ مع الصِّبا ... من بَزِّه وكساهُ من أسماله
وحَنَى قوامَ قناته فأجابه ... طوعًا وقصَّر خَطْوَهُ بِشكاله
حانى المطا واهى القُوى دانى الْخُطا ... يمشى فيعْثُرُ فى صدور نعاله
فإذا نظرتَ إليه نحوَكَ مقبلاً ... أبصرت صرف الدهرِ في إقباله
والمرءُ تحدُثُ أُخْرَيَاتِ زمانه ... أشياءُ لم يخطرْنَ قَطُّ ببالِه
لله دَرُّ جديدِ أيام الصِّبا ... ولذيذِ صُحْبَتِه وطِيبِ خلالِه
ونسيمِ أرواحٍ نعمتُ ببردِها ... كانت تهبُّ عَلَيَّ من آصالِه

[١٩]

ونزل الغَزَال وصاحبُهُ الْمُنَيْقِلَةُ ـ في طريقهما إلى القسطنطينية ـ إلى كورة تَدْمير ، ورسول ملك الروم معهما ؛ ليجوزا من ساحلها لسبيلهما ، فقصَّر العاملُ فى قِراهما ومبرَّتهما ، فقال الغَزَال يذمُّهُ :

{ الخفيف }

قد أردنا حُسْنَ الثناءِ عليكُمْ ... مذ حَلَلْنَا فلم نَجِدْ ما نقولُ
غَيْرَ تجميرِنا بهائلِ رَمْلٍ ... حيث شئنا من جانبيه نَبُولُ
وطعامٍ من الضَّريع أصبنا ... هُ على أنه يسيرٌ قليلُ
ليت شعري ماذا عليكَ من الإجـ ... ـمالِ لو كان منكَ فعلٌ جميلُ
ولَعَمْرِي لأنتَ أوْسَعُ في العُذْ ... رِ ولكنْ لقولِنا تأويلُ

[٢٠]

وقال فى فنِّ التعنين :

{ المتقارب }

سألتُ الأطباءَ عن بَعْضِ ما تُعينُ على ما يريدُ الرجُلْ
إذا ما الشباب ..... تولَّى ووالَتْ عليه العِلَلْ
فَسَمَّوا عقاقير لي جَمَّةً فأكثرهُمْ قال : شُرْبُ العَسَلْ
وكُلُّ الذي زَعَمُوا ليس في مُشَاشِي لأجْمَعِهِ مُحْتَمَلْ
وجَرَّبْتُ ما اسطعتُ من كلِّ ما قَدَرْتُ فلم تُغْنِ عنِي الحِيَلْ
فعدت إلى بعضهم سائلاً كذلك يسألهم من جَهِلْ
فقال مقالاً إذا ما بلا هُ باليه لم يُلْفِ فيه خَلَلْ :
إذا اسْطَعْتَ أن تستعيد الشبابَ فذاكَ وإلا فلا تَشْتَغِلْ
أريتُكَ هذا الذي تبتغي له الطبُّ ينهضُ أو قد بَطَلْ
فقلت له : قد وهى أصله فإنْ هَمَّ أسلمه فانْجَدَلْ
فقال ومَعَّر لى وجهه : فماذا تريدُ إذَنْ يا رجلْ؟
رأيتَ الذي حَضَرَتْهُ الوفاةُ يَمُدُّ الطبيبُ له في الأجلْ؟
فأعْوَلْتُ إعوالَ مفجوعةٍ تُخَبِّرُ أنّ ابنها قد قُتِلْ

قافية الميم

[٢١]

كان الفقيه عبد الملك بن حبيب السُّلَمى يستلطف الغَزَال ؛ إذ كان مشاحنًا له ، ومتخوفًا من هجوه إياه ، وكذلك كانت جماعة الفقهاء ، فقال الغَزَال :

{ الكامل الأحذ }

إنّ التي خُوِّفْتَ يحجزني عنها الحياءُ وحاجزُ الحِلْمِ
وجزاءُ جَدِّكَ يوم وقعة ذي قارٍ يطاعن مَعْ بني عَمِّي

يعني أن مرداس بن أبى عامر السلمى ، الذى إليه ينتمى عبد الملك ، كان يدًا مع بنى شيبان يومئذ .

[٢٢]

وقال الغَزَال :

{ المتقارب }

رأيتُ الرجالَ بِهِمَّاتِهِمْ وأحسابِهِمْ في حِراماتهمْ
أكبُّ رجالٌ على تَجْرِهِمْ وأعمالِهِم وصناعاتِهمْ

فـهم بَيْنَنَا في النعـيم الْمُـقـيم وأصـحـابنـا في حـمـاقـاتِهِمْ
إذا عَـــــدَّدَ الـقــومُ أربابَـهُمْ وأَفْـضَـالَـهُـمْ في تِجـاراتِهِمْ
وَجَـــدْتَهُمُ عِنْدَ حُكَّامِـــهِمْ يَخُـوضـونَ في ذكـرِ أمـواتِهِمْ
وهل حَـرْبُ غَـبـراءَ أو داحسٍ ومـا حَـفِظُوا من وَقـيـعـاتِهِمْ
تُفـــيـــدُهُمْ دِرْهمًـا واحِـدًا إذا الْتَـمَـسُـوهُ لحـاجـاتِهِمْ

قافية النون

[٢٣]

قال عيسى بن أحمد بن محمد :

وظهرتْ ليحيى الغزال في ذِكر النفس قصيدة ، اتُّهم فيها بالتعريض ، فقام عليه قوم فيها من أهل قـرطبـة عند بعض القضـاة وأنحى عليـهـا الفـقـهـاء ، فكاد يعلق ، لولا أن انتـشلتـه الشفاعة ، وهي :

{ الطويل }

تمنيتُ أمـرًا قـد طوى الله عِلْمَـهُ ومـا عِنْدَ غـيـرِ الله فـيـه يقـيـنُ
تـمنيتُ أن أدري وهلْ تنفع الـمنَى إذا زالَ هـذا الـرُّوحُ أَيْـنَ يـكـونُ
أفي نَسْخَةٍ أم {هُوْ} مقيمٌ بموضعٍ -إلى أن يُنادَى بالحسابِ- رهينُ؟
وهلْ فيه عقلٌ مثلما كان أو به اشَـ تيـاقٌ إلى مـا خَلْفَـهُ وحَنينُ؟
وصـــارَ إلى آذِيٍّ بحـــرٍ غُطامطٍ له أَظْهُـرٌ تحـــمـــينَهُ وبُطونُ
جَسَسْتُ بوهمي جَسَّ أَعْمَى فردَّهُ من الغَـيْبِ شيءٌ لا يراه مُـحِـينُ
ويا لَيْتَ شعري أيَّ شيءٍ مُحَصَّلٍ يَرَى شخصُ من قد مات وهو دفينُ
أَهُو هُوَ أم خَلْقٌ شـبـيـهٌ بمـا رأى فـهلْ للقلوبِ الناعـسـاتِ عُـيـونُ؟
وكيف يرى والعَيْنُ قد ماتَ نُورُها وواقِـعُـهُ شِـبْـهُ الوقـارِ سُكونُ
تعـالى الذي لا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ ولا عندَ مـخلوق بذاكَ يقـيـنُ
لئِنْ كانتِ الأرواحُ من بَعْدِ بَيْنِها بِهِنَّ إلى مـا خَلْفُـهُنَّ حَنينُ
وتملِكُ أن يَغْشَى الصَّفِيُّ صفِيَّهُ وتعلَمُ بعـدَ المـوتِ أين يكونُ
فـرُوحِيَ لا ينفَكُّ في وَصْلِ رَبِّه وإن حالَ حِصْنٌ دُونَ ذاكَ حَصِينُ
ويعطفني وُدٌّ على الوَصْلِ ثابتٌ وَحَبْلُ هوًى لا فَصْلَ فيه مَتِينُ
وإن تكُنِ الأخْرَى فعُذْرًا فإنَّني إلى أن أُنَادَى بالحسـاب رَهِينُ
لفـارقـتُـه إذ بِنْتُ عَنْهُ وإنَّه بقـرْبِيَ لو يُجْـدِي عَلَيَّ ضنِينُ
عليك سلامُ الله مـا هَبَّتِ الصَّبـا ومـا ناحَ في أيكِ الغصـونِ حَنُونُ
لئن سَخِنَتْ من مَعْشَرٍ بمصيبتي عـيـونٌ فـقـد قَـرَّتْ بذاك عُـيـونُ

[٢٤]

قال حيَّان : حدثني يوسف بن هارون الشاعر عن بعض شيوخه قال :

لما قال الغزال كلمته ، التى عرَّض فيها بالفقهاء ، التى منها البيت المشهور فى الناس وهو :

{ الخفيف }

لَسْتَ تلقى الفقيه إلا غنيًا ... لَيْتَ شِعْرِي من أيْنَ يستغنونَا؟!

طارت فى الناس ، وحركت من الفقهاء .

ويلي بيتَهُ ذلك ، فى ذِكر الفقهاء ، قوله :

{ الخفيف }

نقطعُ البرَّ والبحارَ طِلابَ الرِّ ... زْقِ والقومُ هاهنا قاعدونَا

لا يريمونَ مَوْطِنًا لا ولا تُبْـ ... ـصِرُهُمْ عَيْنُ ناظرٍ يعْجَزُونَا

إنَّ للقومِ مَضْرِبًا غابَ عنَّا ... لم يُصِبْ قصدَ وجهِهِ الراكبونَا

[٢٥]

وقال فى أرجوزة له معرِّضًا بالفقهاء :

{ الرجز }

جاء بجسم الفيلِ في العيونِ ... حتى إذا سارَ إلى سحنونِ

فجاء بالتَّوْراةِ والإنجيلِ ... كأنما سارَ إلى جِبْرِيلِ

[٢٦]

وقال في ذِكر سِنِّه :

{ السَّريع }

مَهْلاً فَلَيْسَ العذلُ من شاني ... لستُ عَنِ اللذَّاتِ بالوانِي

مَضَتْ ثلاثونَ إلى مِثْلِها ... لي وثلاثونَ وِثِنْتانِ

والثُّلْثُ منها في سبيلِ الصِّبا ... وفي المعاصِي ثُلْثُها الثانِي

والثُّلْثُ الثَّالِثُ في غَمْرةٍ ... قَلَّ بها بِرِّي وإيمانِي

فانْقَرَضَ العُمْرُ وما في يَدي ... من كلِّ هذا غَيْرُ خُسْرانِ

وكلُّ شيءٍ غَيْرَ ما كان لِلَّـ ... ـه مِنَ الدُّنْيَا لِبُطلانِ

لي جَسَدٌ بالٍ ولكنَّما ... رُكِّبَ فيه رُوحُ شَيْطَانِ

ذُو أمَلٍ غَضٌّ جديدٌ كما ... أَعْرِفُهُ أوَّلَ أَزْمانِي

كأنَّ إيقَانِيَ فيما مضى ... باللَّهِ رَبِّي غَيْرُ إيقانِ

يامُعْجَبًا بالمال أَضْحَى بِهِ ... في النَاسِ ذا زَهْوٍ وطُغْيانِ

هيـهـاتَ إنَّ المـالَ يَفْنَى وَمَنْ ... يَجْـمَـعُـه عَنْ قَـدَرٍ فـانِي
قُلْ أَيُّهـا البـانـي : أمـا تَرْعَـوِي ... وأنْتَ في سِـجْنِ الرَّدَى عـانِي؟
هل لَكَ في خُـبْـرٍ بمـا أَفْنَت الْـ ... أيَّـام من مُلْكِ سُلَيْـمـانِ
لو عَلِمَ البـانونَ مـا أَتْعَـبُـوا ... أَنْفُـسَـهُـمْ يَوْمًـا بِبُنْيـانِ
وقـد رَأَوْا مـا فَـعَلَ الدهر بالـ ... ـبُنيـان والمـسْكَنِ والْبَـانِي
كلُّ امْـرئٍ يسـعى إلى شـأنه ... ومـا أرَى البنيـانَ من شـانِي
عَـجِـبْتُ من صِـحَّـةِ أبْصـارِنـا ... والْخَـبْطُ مِنَّا خَـبْطُ عُـمْـيـانِ

قافية الهاء

[٢٧]

وقال يخاطب حسَّاده ومغتابيه عند الأمير عندما كلِّف بالسفارة إلى بلاد الروم :

{ الخفيف }

قـال قـومٌ إن الغـزالَ نبـيـهُ ... وأشاروا -ومـا استـشيـروا- إليـهِ
لـم يكُنْ ذا لذاك بل وجـدوني ... أيسـر العـالمـين فـقـدًا عليـهِ
ابْنَ سبعينَ قد نَضَتْ حِقَبُ الأيَّـ ... ـام ثوب الشبـاب عن منكبـيـهِ
أغـفلوني عند الرَّخـاءِ فلمـا ... نزل الكرهُ قـدّمـوني إليـهِ
سوف أمضي ومن تعمد ضري ... فـصـروف الزمـان بين يديهِ
ولئن أن يكـون في قـدَرِ اللّـ ... ـه إيابي فـالأمـر ليس إليـهِ

[٢٨]

ومن جيّد مديح الغَزَال للأمير عبد الرحمن قوله فى قصيدة طويلة فيها :

{البسيط}

إن القصائدَ لم يجزئك مُجْرِيها ... إلا وقـد عُـقِـدَتْ منهـا نَوَاصِـيـهَا
وسـرَّحـوهنَّ مـمـدودًا أعِنَّتُـهـا ... تبـارزُ الريحَ كلُّ القـوم يرجـوهَا
بكريَّةَ النَّجْـرِ لا مـمَّـا يلفِّـقُـه الـ ... ـملفـقـون طريفـاتٍ مَـعـانيـهَـا
فـيـهـا نتـائجُ لم آخـذْ برائِعِـهـا ... من شِـعْرِ آخرَ قبلي قد كفانيهَا
لم أُجْرِ فيها من الأعرابِ وصفهمُ ... تلك المـهـامِـهَ مُـغْـبَـرًا فيـافـيـهَـا
ولا بكـيتُ عـلـى أطـلالِ منـزلـة ... قـفـر تُوارِدُ فـيـهـا العـينُ صَـبِّـيـهَـا
ولا رمـيتُ بطَرفي إثرَها جَـزَعًـا ... قد شفَّ نفسِيَ في زعمي تصابيهَا
أبو المطرف بادي كُلِّ مكرُمـة ... نعـدهـا لكريمٍ أو نسـمِّـيـهَـا

لكن قصدتُ إلى مدح امرئ قصُرَتْ عنه الصفاتُ فلم تبلُغْهُ تشبيهَا
قَرْمٌ إذا رُفعَتْ عنه الستورُ لنا لاحتْ له سُنَّة يُغشى تلاليهَا
كالشمس ترجعُ عنها العينُ حاسرةً يكاد ما جشمت من ذاك يغشيهَا
وما تكلفَ منه الفكرُ منزلةً إلا تحيَّر في أدنى الذي فيهَا
هو الهمامُ الذي ما مثلُه بشرٌ من نسل آدم ماضيها وباقيهَا
يا خير من حملته الأرض مُذْ سطحَتْ حاشا الذين أحاشى من نَبِيِّيهَا
هذى منابرُ أرض الشرقِ قد جَنَحَتْ شوقًا إليك وهزتها خوافيهَا
شُزْرُ العيونِ إلى رُكابها أُنُفٌ لحظ الفوارك ما تخفي تقاليهَا

والله المستعان .